الاختلاف العقائدي وأثره على التحصيل العلمي، الإمامين الأشعري والجبائي انموذجا

Doctrinal Differences and Their Impact on Academic Achievement: A Case Study of Imams Al-Ash'ari and Al-Jubba'i

م.م. حيدر عبد الفتاح جعفر

Asst.Lect. Haider Abdel Fattah Jaafar

جامعة سامراء/ كلية التربية

University of Samarra /College of Education

E-mail:

الكلمات المفتاحية: التحصي، العلمي، الجبائي، الأشعري، العقيدة.

Keywords: academic achievement, tax collection, Ash’ari, belief.

الملخص

إنَّ هذا البحث الموسوم بـــ: (الاختلاف العقائدي وأثره على التحصيل العلمي، الإمامين الأشـــعري والجبائي انموذجا) من البحوث المهمة التي تكلمت عن أثر الاختلاف العقائدي في التحصـــيل العلمي، حيثُ اختار الباحث انموذجين للدراســـة تمثلت بإمامين كبيرين وهما الإمام الأشـعري والجبائي، حيثُ قامت هذه الدراسـة على النواحي التاريخية، والمسـائل العقائدية، وبيان الاختلاف العقائدي الحاصل بين الشخصيتين، ومن ثم دراسة أثر هذا الاختلاف على التحصيل العلمي، وبيان الفوائد منها، والحمد لله رب العالمين، وصـــلى الله على ســـيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Abstract

This research, titled: **(Doctrinal Differences and Their Impact on Academic Achievement: A Case Study of Imams Al-Ash'ari and Al-Jubba'i)** is one of the important research that talked about the impact of doctrinal differences on academic achievement, as the researcher chose two models for the study represented by two great imams, namely Imam al-Ash’ari and al-Jabba’i. This study was based on Historical aspects of doctrinal issues, explaining the doctrinal difference between the two personalities and then studying the impact of this difference on academic achievement and explaining its benefits. Praise be to God, Lord of the Worlds, and may God’s blessings be upon our Master Muhammad and all his family and companions

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي تفرّد في ذاتهِ وصفاتهِ وأفعالهِ، وتنزّهَ عن الشَّريكِ والنِّد، والصاحبة والولد، وأكرمَ بني آدم بإرسال الرسل؛ ليخرجوهم من ظلام الشِّرك إلى نور التَّوحيد، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا مُحمَّدٍ المبعوثِ إلى كافة الخلقِ بِشيراً ونذيراً، وعلى آله وأصحابهِ أولي الفضلِ والدِّين والكمالِ والمكارم، صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فإنَّ توحيد الله وإفراده بالعبادة، من أهم الأمور التي دعا إليها الإسلام، بل هو لب دعوة المرسلين –عليهم الصلاة والسلام–، فلذا أوجب الله تعالى على جميع المُكلَّفين توحيده، وعلمُ التوحيد من أشرف العلوم, إذ شرف العلم بشرف المعلوم, فإنَّ الإيمان بالله أهم الواجبات وأعظم الفرائض وأفضلها, فقد دعا رسول الله (ﷺ) إلى التوحيد الخالص؛ ليكون الدِّين كُلُّه لله.

ومن أجل ذلك دأب العلماء قديماً وحديثاً لفهم أمور عقديتهم، وبيان مراد ربهم، وانتهاج النهج الصحيح للعقيدة الصحيحة التي أمرنا الله تعالى بها، وبينها رسوله الكريم ﷺ، ومن خلال ذلك تبنى علاقات الأفراد بعضهم ببعض، وتقام المجتمعات على ذلك، ويكون لها الأثر الكبير في أخذ بعضهم عن بعض، وتحصيل العلوم بين أفراد تلك المجتمعات.

فلأجل ذلك شرعتُ في كتابة هذا البحث الذي أرومُ فيه بيان الأثر العقائدي في التحصيل العلمي، ولأجل أنَّ هذه الآثار لا تظهر واضحة إلا بضرب الأمثلة على ذلك جعلتُ هذا البحث يدور محوره حول الاختلاف العقائدي بين إمامين من أئمة علم الكلام، بين طالب وأستاذه، بين صاحب عقيدة صحيحة وأخرى غير صحيحة، ألا وهما: الإمام أبو الحسن الأشعري، وأبو علي الجبائي، وأسميتهُ بـ: **(الاختلاف العقائدي وأثره على التحصيل العلمي، الإمام الأشعري والجبائي انموذجاً)**.

فقد كان هذا البحث من الأهمية بمكان لما فيه من بيان الأثر العلمي في تحصيل العلوم الشرعية لمن اختلف عقائدياً، وكيف نفهمها من خلال قصة هذين الإمامين الذي انتهت لأحدهما رئاسة المعتزلة في زمانه، وللآخر نصرة مذهب أهل السنة والجماعة.

وقد قسمتُ هذا البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وكما يأتي:

- **المبحث الأول: التعريف بالإمامين الجبائي والأشعري:**
- المطلب الأول: التعريف بالجبائي.
- المطلب الثاني: التعريف بالأشعري:
- **المبحث الثاني: أثر الخلاف بين الجبائي والأشعري على التحصيل العلمي:**

- المطلب الأول: ترك الإمام الأشعري مذهب الاعتزال:
- المطلب الثاني: الخلاف بين الأشعري والجبائي:
- المطلب الثالث: أثر الاختلاف على التحصيل العلمي:

فنسأل الله سبحانه وتعالى أنْ يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا إنّه على كل شيء قدير، نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول: التعريف بالإمامين الجبائي والأشعري:

المطلب الأول: التعريف بالجبائي.

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو: أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سـلام بن خالد بن جمران بن أبان، مولى عثمان بن عفان ﷺ المعروف بالجبائي أحد أئمة المعتزلة (ابن خلكان، ١٩٧١م، ٢٦٧/٤).

ثانياً: ولادته ونشأته:

ولد أبو علي الجبائي في قرية جُبّى التابعة للبصـرة سـنة: (٢٣٥هـ) (ابن الجوزي، د.ت، ١٦٤/١٣).

وهنالك نشـأ وطلب العلم ولزم أبا يعقوب يوسـف بن عبد الله الشـحّام، وكان هذا أحذق الناس في الجدل، انتهت إليه رئاسـة المعتزلة في البصـرة (ت٢٨٠هـ) (ابن حجر، د.ت، ٥٦٠/٨)، وعنه أخذ أبو علي الكلام، فنبغ مبكراً وقدر على الجدل والمناظرة في مسـائل علم الكلام، شـهد له المعتزلة جميعاً بالرياسة بعد أبي الهُذيل العلاف (ت٢٣٥ هـ)، وكان إضافةً إلى ذلك فقيهاً ورعاً زاهداً.

ظهرت تطلعات أبي علي الجبائي الكلامية منذ صـباه، عندما قادته الأقدار إلى مواجهة علم من أعلام الجبرية آنذاك يدعى صقر، في مناظرة ظنّها الحاضرون غير متكافئة، فقد سأل صقر عن الصـبي المُناظر، فقيل له: غلامٌ من أهل جُبى، ومن تفاصـيل هذه المناظرة، أنَّ الغلام الأبيض (الجبائي) زجَّ نفسـهُ في صـدرِ صـقر، وقال له: أَسـأَلُكَ، فنظر إليه صـقر وتعجب من جرأته مع صغر سنّه فقال له: سَلْ، فقال: هل الله يفعل العدل؟ قال: نعم، قال: أَفتُسميه بفعله العدل عادلاً؟ قال: نعم، قال: فهل يفعل الجور؟ قال: نعم، قال: أفتسميه جائراً؟ قال: لا يصـحّ ذلك، قال: فيلزم ألا تسميه بفعله العدل عادلاً.. فانقطع صقر، وجعل الناس يسألون: من هذا؟ فقيل: هو غلام من أهل جُبّى (الخيون، ١٩٩٧م، ٢١١).

ثالثاً: شيوخه:

أخذ أبو علي الجبائي عن علماء الكلام في زمانه، وكان من أشهرهم شيخه: يوسف بن عبد الله، أبو يعقوب الشـحام مفسـر معتزلي، من أهل البصـرة، انتهت اليه رئاسـة المعتزلة بها في أيامه، وولي الخراج في أيام الواثق، وعنه أخذ أبو علي الجبائي علم الكلام، وبرع به، ولما توفي الشـحام سـنة: (٢٨٠هـ) (ابن حجر، د.ت، ٥٦٠/٨)، أصـبح الجبائي رئيسـا لهذه المدرسـة حتى وفاته (المرتضى، ١٩٦١م، ٨٠/١).

وأخذ أيضاً عن غيره لكن كتب التراجم لم تذكرهم.

رابعاً: تلاميذه:

درسَ على أبي علي الجبائي خلقٌ كثير، ولم يشتهر منهم إلا اثنان، وهما:

١- أبو هاشم، ابنهُ، وهو: عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي بن عبد الوهاب، المتكلم المشهور، انتهت إليه رئاسة المعتزلة بعد أبيه، وله مقالات على مذهب الاعتزال، وكتب الكلام مشحونة بمذهبه واعتقاده، ولادته سنة: (٢٤٧هـ)، وتوفي يوم الأربعاء سنة: (٣٢١هـ) ببغداد، ودفن في مقابر البستان (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٢م، ٣٢٧/١٢) (ابن خلكان، ١٩٦٨م، ١٨٣/٣).

٢- أبو الحسن الأشعري، وسيأتي الكلام عنه في المطلب الثاني.

خامساً: مؤلفاته:

ذكر صاحب "الدر الثمين في أسماء المصنفين" أغلب مؤلفات الجبائي، وهي كما قال: (وله من الكتب المصنّفة: كتاب الأصول في شرح الحديث، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب التعديل والتجوير، وكتاب الاجتهاد، وكتاب الإمامة، وكتاب المعرفة، وكتاب النظر، وكتاب الحكمين، وكتاب الأسماء والصّفات، وكتاب الجزء الذي لا يتجزّأ، وكتاب المجهول والمعلوم، وكتاب المولّد، وكتاب الأخبار، وكتاب المخلوق، وكتاب من يكفر ولا يكفر، وكتاب الشاهد على الغائب، وكتاب الكلام في النتائج، وكتاب الأسماء والأحكام، وكتاب النّقض على ابن الراوندي، وكتاب نقض كتاب النفي والإثبات، وكتاب نقض كتاب نعت الحكمة، وكتاب نقض لا شيء إلا موجود، وكتاب نقض كتاب الإمامة، وكتاب نقض كتاب الزّمرّد، وكتاب نقض كتاب التاج، وكتاب نقض كتاب الدامغ، وكتاب نقض ما يحتجّ به ابن الراونديّ على ما يسنده إلى هشام في الرّواية، وكتاب نقض الطّب، وكتاب نقض كتاب المجبرة، وكتاب نقض كتاب سليمان في تثبيت الأعراض، وكتاب نقض كتاب يحيى بن بشر في تناهي المقدّرات، وكتاب نقض كتاب الرأي في الإدراك الذي نقضه على الصّالحي، وكتاب نقض كتاب أبي الحسين في ابتداء الناس في الجنّة، وكتاب نقض كتاب الجاحظ في المعرفة، وكتاب النقض على عبّاد في إنكاره دلالة الأعراض، وكتاب نقض كتاب النظّام في إحالة المقدّرات، وكتاب نقض الطبائع على النظّام، وكتاب الردّ على من قال بأحكام النجوم، وكتاب الردّ على النّصارى، وكتاب الردّ على اليهود، وكتاب الردّ على المجوس، وكتاب المسائل الخراسانية، وكتاب جواب مسائل أهل شيراز في لا شيء إلا موجود، وكتاب جواب العسكري، وكتاب جوابات مسائل محمد بن عمر الباهلي، وكتاب الأصلح الكبير، وكتاب الأصلح الصّغير، وكتاب الإدراك على الصّالحي، وكتاب تفسير القرآن،

وكتاب متشـــابه القرآن، وكتاب الإمامة الصّـــغير، وكتاب المذنبين) (ابن الســـاعي، ٢٠٠٩م، ١٦٦).

سادساً: وفاته:

توفي الجبائي سنة: (٣٠٣هـ) في شعبان (ابن خلكان، ١٩٦٨م، ٢٦٩/٤).

المطلب الثاني: التعريف بالأشعري:

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو العلامة، إمام المتكلمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى ابن أمير البصرة بلال بن أبي بردة ابن صاحب رسول الله ﷺ أبي موســـى عبد الله بن قيس بن حضـــار الأشـــعري، اليماني، البصـــري (الذهبي، ١٩٨٥م، ٨٥/١٥).

ثانياً: ولادته ونشأته:

ولد أبو الحسن الأشعري –رحمه الله– سنة: (٢٦٠هـ) في البصرة، ونشأَ بها، ودرسَ على يد زوج أمّه أبو علي الجبائي علم الكلام، وصحبه قرابة الـ(٤٠ سنة) حتى اعتزله، وترك مذهبه ، وقام بنصـرة مذهب أهل السـنة والجماعة، فلقب على إثرها بناصـر السـنة (ابن خلكان، ١٩٦٨م، ٢٨٤/٣) (ابن العماد، ١٩٨٦م، ١٣٠/٤).

ثالثاً: شيوخه:

لأبي الحسن الأشعري –رحمه الله– شيوخ كُثر، نذكر منهم:

١- **أبو علي الجبائي**، وقد تقدمت ترجمته.

٢- **زكريـا السـاجي:** زكريـا بـن يحيـى بـن عبـد الـرحمن بـن بحـر بـن عـدي بـن عبـد الـرحمن البصـري أبـو يحيـى السـاجي الحـافظ، كـان مـن الثقـات الأئمـة، أخـذ عـن المزنـي والربيـع بـن سـليمان أصـحاب الإمـام الشـافعي ﷺ، أخـذ عنـه أبـو الحسـن الأشـعري علم الحديث، توفي سنة: (٣٠٧هـ) (السبكي، ١٤١٣هـ، ٢٩٨/٣).

٣- **أبــو خليفــة الجمحــي:** أبـو خليفـة الفضـل بـن الحبـاب الجمحـي، الإمـام، العلامـة، المحـدث، الأديـب، الإخبـاري، شـيخ الوقـت، أخـذ عنـه الإمـام الأشـعري، تـوفي سـنة: (٣٠٥هـ) (الذهبي، ٢٠٠٣م، ٧/١٤).

وغيرهم الكثير لم أذكرهم للاختصار، وعدم الإطالة.

رابعاً: تلاميذه:

تتلمذ على يد الإمام أبي الحسن الأشعري خلقٌ كثيرون كان من أشهرهم:

١- **ابن مجاهد:** أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي البصري، الإمام، المالكي، المتكلم، صاحب أبي الحسن الأشعري، قدم بغداد ودرس بها من مصنفاته: "الاعتقادات"، و"هداية المستبصر ومعونة المستنصر"، توفي سنة: (٣٧٠ هـ) (الذهبي، ١٩٨٥م، ٣٠٥/١٦) (الصفدي، ٢٠٠٠م، ٣٥/٢).

٢- **زاهر بن أحمد:** زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى، أبو علي السرخسي الفقيه الشافعي المقرئ المحدث، أخذ عن أبي الحسن الأشعري علم الكلام، وشهده وهو يقول عند الموت: لعن الله المعتزلة موهوا ومخرقوا، توفي سنة: (٣٨٩هـ) (الذهبي، ٢٠٠٣م، ٦٤٥/٨).

٣- **أبو الحسن الباهلي:** العلامة، شيخ المتكلمين، أبو الحسن الباهلي البصري، برع في العقليات، وكان يقظا، فطنا، لسنا، صالحا، عابدا، قال الأستاذ الإسفراييني: أنا في جانب شيخنا أبي الحسن الباهلي كقطرة في بحر، وقد سمعته يقول: أنا في جنب الشيخ الأشعري كقطرة في جنب بحر (الذهبي، ١٩٨٥م، ٣٠٤/١٦).

٤- وغيرهم الكثير لم أذكرهم للاختصار، وعدم الإطالة.

خامساً: مؤلفاته:

بلغت مصنفات الإمام أبي الحسن الأشعري قرابة الثلاثمائة كتاب، منها:

"إمامة الصدّيق"، و"الرد على المجسمة"، و"مقالات الإسلاميين"، و"الإبانة عن أصول الديانة"، و"رسالة في الإيمان"، و"مقالات الملحدين"، و"الرد على ابن الراونديّ"، و"خلق الأعمال"، و"الأسماء والأحكام"، و"استحسان الخوض في الكلام"، و"اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع" يعرف باللمع الصغير، وغيرها (ابن خلكان، ١٩٦٨م، ٢٨٥/٣).

سادساً: وفاته:

توفي الإمام أبو الحسن الأشعري سنة: (٣٢٤هـ) على أصح الأقوال (السبكي، ١٤١٣هـ، ٣٥٢/٣).

المبحث الثاني: أثر الخلاف بين الجبائي والأشعري على التحصيل العلمي:

المطلب الأول: ترك الإمام الأشعري مذهب الاعتزال:

كان الإمام الأشعري على مذهب شيخه الجبائي في الاعتزال مدة (٤٠) سنة، وقد ذكر ابن عساكر سبب رجوع الإمام الأشعري عن مذهب الاعتزال بما رواه عن بعض أصحاب الإمام

الأشعري أنّه قال: (إنَّ الشيخ أبا الحسن –رحمه الله– لما تبحر في كلام الاعتزال وبلغ غاية كان يورد الأسئلة على أُستاذه في الدرس، ولا يجدُ فيها جواباً شافياً، فتحير في ذلك، فحُكِيَ عنه أنَّه قال: وقع في صدري في بعض الليالي شيء مما كنت فيه من العقائد، فقمتُ وصليت ركعتين، وسألت الله تعالى أنْ يهديني الطريق المستقيم، ونمت فرأيتُ رسول الله ﷺ في المنام، فشكوت إليه بعض ما بي من الأمر، فقال رسول الله ﷺ عليك بسنتي، فانتبهت وعارضت مسائل الكلام بما وجدت في القرآن والأخبار، فأثبته ونبذت ما سواه ورائي ظهرياً) (ابن عساكر، ١٤٠٤هـ، ٣٠).

وقد ذكر الإمام السبكي هذه الرؤية مفصلةً، حيثُ قال: (ويحكى من مبدأ رجوعه أنَّه كان نائماً في شهر رمضان، فرأى النبي ﷺ، فقال له: يا علي انصُرْ المذاهب المروية عنّي فإنّها الحق، فلما استيقظ دخل عليه أمرٌ عظيم، ولم يزل مفكراً مهموماً من ذلك، وكانت هذه الرؤيا في العشر الأول، فلما كان العشر الأوسط رأى النبي ﷺ في المنام ثانياً، فقال: ما فعلت فيما أمرتُكَ به؟ فقال: يا رسول الله، وما عسى أنْ أفعل، وقد خرجت للمذاهب المروية عنك محامل صحيحة؟ فقال لي: انصر المذاهب المروية عنّي فإنَّها الحق!!، فاستيقظَ وهو شديد الأسف والحزن، وأجمع على ترك الكلام، واتباع الحديث، وملازمة تلاوة القرآن، فلما كانت ليلة سبع وعشرين وكان من عادته سهر تلك الليلة أخذه من النعاس ما لم يتمالكْ معه السهر فنام، وهو يتأسف على ترك القيام فيها، فرأى النبي ﷺ ثالثاً، فقال له: ما صنعت فيما أمرتُكَ به؟ فقال: قد تركتُ الكلام يا رسول الله، ولزمت كتاب الله وسنتك، فقال له: أنا ما أمرتك بترك الكلام، إنَّما أمرتُك بنصرة المذاهب المروية عنّي فإنّها الحقّ!!. قالَ: فقلتُ: يا رسول الله، كيف أَدعُ مذهباً تصورتُ مسائله، وعرفت دلائله منذ ثلاثين سنة لرؤيا؟ قال: فقال لي: لولا أني أَعلمُ أنَّ الله يمدك بمدد من عنده لما قمتُ عنك حتى أُبين لك وجوهها فجدَّ فيه، فإنَّ الله سيمدك بمدد من عنده، فاستيقظَ وقال: ما بعد الحق إلا الضلال، وأخذ في نصرة الأحاديث في الرؤية، والشفاعة، والنظر، وغير ذلك) (السبكي، ١٤١٣هـ، ٣/٣٤٨-٣٤٩).

ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً، فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر، وقال: معاشـــر الناس، إنّي إنما تغيبت عنكم في هذه المدة؛ لأني نظرت فتكافأتْ عندي الأدلة، ولم يترجح عندي حق على باطل، ولا باطل على حق، فاستهديتُ الله تبارك وتعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعتهُ في كتبي هذه، وانخلعتُ من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعتُ من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به، ودفع الكتب إلى الناس، فمنها كتاب "اللمع"، وكتاب أَظهر

فيه عوار المعتزلة، سماه بكتاب "كشف الأسرار وهتك الأستار"، وغيرهما، فلما قرأ تلك الكتب أهل الحديث، والفقه من أهل السـنة والجماعة أَخذوا بما فيها، وانتحلوه واعتقدوا تقدمه واتخذوه إماماً (ابن عساكر، ١٤٠٤هـ، ٣٩).

وقد ذكر ابن كثير أنَّ الإمام الأشـعري بعدما فارق مذهب المعتزلة، صـعد على منبر البصـرة يوم الجمعة، ونادى بأعلى صـوته: (من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يُرَى في الدار الآخرة بالأبصـار، وأنَّ العباد يخلقون أفعالهم، وها أنا ذا تائب من الاعتزال، معتقد الرد على المعتزلة، مبينا لفضـائحهم، ثم شـرع في الرد عليهم، والتصنيف على خلافهم) (ابن كثير، ١٩٩٣م، ٢٠٩/١).

نرى من ذلك أنَّ الإمام أبا الحسـن الأشـعري –رحمه الله– كان مؤيداً من قبل الله تعالى ومن ثمّ رسـول الله ﷺ لإقامة هذا المذهب العظيم الذي أزال فيه أقوال المبتدعة، وردّها، وأقام بها العقيدة الصحيحة التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ.

المطلب الثاني: الخلاف بين الأشعري والجبائي:

لم يكن الإمام الأشـعري يظهرُ الخلاف لشـيخه أبي علي الجبائي مدة دراسـته عنده، بل كان أحد تلاميذه ويتبنى قوله وقول المعتزلة، لكنَّ هذا الأمر لم يكن في حالة من الاطمئنان منه، بل كان يبعث في قلبه التساؤلَ عن بعض مشكلاته، حتى نبغَ وعلِمَ فأصبح يوردُ هذه الإشكالات على شـيوخه كما قدمنا من نقل ابن عسـاكر ذلك بقوله: (إنَّ الشـيخ أبا الحسـن –رحمه الله– لما تبحر في كلام الاعتزال وبلغ غاية كان يورد الأسئلة على أُستاذيه في الدرس، ولا يجدُ فيها جواباً شافياً، فتحير في ذلك) (ابن عساكر، ١٤٠٤هـ، ٣٩).

وبعد أنْ رأى ما رأى من أمر النبي ﷺ له بنصر السنة قام بإظهار ذلك، وبدأت مناظراته لشـيخه أبي علي الجبائي، ومن أشـهر هذه المناظرات مناظرته لشـيخه في مسـألة الصـلاح والأصلح بالنسبة لله تعالى.

وهذه المسـألة اتفق فيها المعتزلةُ على أنَّ الله تعالى لا يفعلُ إلا الصـلاح والخير، وأما الأصلح واللطف ففي وجوبه عندهم خلاف (الشهرستاني، ١٤٠٤هـ، ٦٣/١).

فقد جاءَ أبو الحسـن الأشـعري إلى أبي علي الجبائي فناظره في هذه المسـألة وقال له الشـيخ أبو الحسـن: أتوجب على الله رعاية الصـلاح أو الأصـلح[١] في حق عباده؟ فقال: نعم:

(١) اتفق المعتزلة على أنَّ الله تعالى لا يفعل إلا الصلاح والخير، وأما الأصلح واللطف ففي وجوبه عندهم خلاف، وقال المعتزلة: "أنه لا لطف عند الله لو فعله بمن لا يؤمن لآمن ولو كان عنده لطف لو فعله بالكفار لآمنوا ثم لم يفعل بهم ذلك لم يكن مريداً لمنفعتهم، فلم يصفوا ربهم بالقدرة على ذلك تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً" وخالفهم بشر بن المعتمر فأثبت لله لطفًا لو أتى به لآمن جميع الخلق إيمانًا يستحقون عليه الثواب ولا يجب

فقال: ما تقول في ثلاثة أخوة، أحدهم برٌ تقيٌ، والآخر فاجرٌ شـــقيٌ، والآخر مات قبل التكليف؟ فقال الجبائيّ: الأوّل في الدرجات، والثاني في الدركات، والآخر من أهل الســـلامة. قال لـه الأشعريّ: فلو قال الصبي: ياربّ، ارفعني إلى درجات أخي التقيّ! ما يكون جوابه؟ قال: يقال له: إنّك لم تعمل كعمله، فلم تصل إلى محلّه. قال: فإن قال: يارب، إنّك لم تبقني إلى وقت التكليف؛ ولو أبقيتني، عملتُ. قال الجبّائيُّ: يقال له: لو أبقيتك، لكنتَ كأخيك الفاجر؛ فراعيتُ مصـــلحتَك بموتك قبل ذلك. قال الأشـــعريُّ: فإن قال الفاجر: ياربَ، فهلاّ راعيتُ مصـــلحتي كما راعيت مصلحةَ أخي الصغير، فأمتّني صغيرًا، وسلّمتني من هذا العذاب! فانقطع الجبّائيّ عن الجواب (الطوفي، ١٤٢٦هـ، ٩٤).

ثم قال للشيخ أبي الحسن: أَوسوست؟ فقال الشيخ أبو الحسن: ما ووستُ، ولكن وقفَ حمار الشـــيخ على القنطرةِ، ثم فارقه وخالفه وخالف ســـائر فرق المعتزلة (الصـــفدي، ٢٠٠٠م، ١٣٨/٢٠).

ومن مناظراته لأبي علي الجبائي أنَّ الجبائي سمَّى الله –عز وجل– مُطيعًا لعَبْدِهِ إذا فعل مرَاداً لعبده، فقد ســـأله أبو الحســـن الأشـــعري –رحمه الله– يَوْمًا عَن حَقِيقَة الطَّاعَة؟ فَقَالَ: هِيَ مُوَافقَة الْإِرَادَة، فَقَالَ لَهُ: هَذَا يُوجب أَنْ يكون الله تَعَالَى مُطيعًا لعَبْدِهِ إذا أعطَاهُ مُرَاده؟ فَقَالَ: نعم يكون مُطيعًاً.

فَقَالَ أبو الْحسن –رحمه الله–: يلزمك على هَذَا الأَصْـل أنْ يكون الله تَعَالَى مُطيعًا لعَبْدِهِ إذا فعل مُرَاده، فَالْزَمْ ذَلِك، فَقَالَ لَهُ شَـــيخنَا –رحمه الله–: خَالَفت إِجْمَاع الْمُســـلمين وكفرت بِرَبّ الْعَالمين، وَلَو جَازَ أنْ يكون الله تَعَالَى مُطيعًا لعَبْدِهِ لجَاز أنْ يكون خاضـعاً لَهُ تَعَالَى الله عَن ذَلِك علواً كَبِيراً (البغدادي، ١٩٧٧م، ١٦٨).

وزعمَ أيضاً: أنَّ أسماء الله تَعَالَى جَارِيَة على الْقيَاس، وَأَجَازَ إشتقاق اسْم لَهُ من كل فعل فعله(*)، وأَلزمه أبو الحسن –رحمه الله– أنْ يُسَـمِّيه بمحبل النِّسَـاء؛ لأنَّه خَالق الْحَبل فِيهِنَّ فالتزم ذَلِك، فَقَالَ لَهُ: بدعتك هَذِه أشنع من ضَـلَالَة النَّصَـارَى في تَسْمِيَة الله أَبَا لعيسى مَعَ امتناعهم من القَوْل بِأَنَّهُ محبل مَرْيَم(البغدادي، ١٩٧٧م، ١٦٨).

فهذه أبرز المناظرات التي جرت بين أبي الحســن الأشــعري وأبي علي الجبائي، ثم ترك مجلسه بعد ذلك وشرعَ بالردِّ على المعتزلة، ونصرة مذهب أهل السنة والجماعة، وكان لا يجالسه في مجلسه إلى أنْ مات.

على الله فعل ذلك كما لا يجب عليه فعل الأصلح. مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين للأشعري: (ص٥٧٤). (الشهرستاني، ١٤٠٤هـ، ١/ ٦٣).

* (*) جمهور أهل السنة على أن أسماؤه تعالى توقيفية. (الزركشي، ١٤٠٥هـ، ص١٤١).

المطلب الثالث: أثر الاختلاف على التحصيل العلمي:

بعد عرض حياة الإمام أبي الحسن الأشعري وأبي علي الجبائي، نجدُ أنّ لها أثرٌ كبيرٌ على التحصيل العلمي، ويمكن أنْ ندرس ذلك بالنقاط التالية:

أولاً: أثر الاتفاق العقائدي على استمرارية التحصيل العلمي:

مكثَ الإمام أبو الحسن الأشعري في الأخذ عن شيخه أبي علي الجبائي مدةً طويلة؛ وذلك لوجود الاتفاق العقائدي بينهما، حيثُ ذكرت المصادر أنّه أقام على طلب العلم منه نحو أربعين سنة، حتى صار للمعتزلة إماماً (السبكي، ١٤١٣هـ، ٣٤٧/٣).

فمن هنا نجد أنَّ الاتفاق العقائدي له أثر كبير في استمرارية التحصيل العلمي، وتبادل العلم بين العالم والمتعلم، فيكون أحد الأسباب الداعية إلى الاستمرارية في طلب العلم هو وجود الاتفاق العقائدي بينهما، وفي واقعنا المعاصر أمثلة كثيرة عن ذلك، حيثُ أنَّ الطالب في كلياتنا أو مدارسنا عندما يختلف عقائدياً مع أستاذه نجده قليل الأخذ عنه، بعيد كل البعد عن محاولة فهمه، وأخذ ما ينفعه منه، وهذا السبب يعود للأثر النفسي بين الطرفين مما يسبب النفور عن بعضهما.

ثانياً: الأثر العلمي في الاختلاف العقائدي:

ونعني بذلك مراعاة الدليل العلمي في الاختلاف بين الطالب وأستاذه، حيثُ نجدُ أنَّ الإمام الأشعري لم يقدمْ إلى أستاذه بدليل باطل يدلُّ على وجود ضغينة أو حقد يدعيه إلى النفور عن مذهب أستاذه، بل جاء بالدليل العقلي الصحيح، الذي لا يقبل الخطأ، وعارض فيه أستاذه، وأقام له الحجة على بطلان مذهبه في مسألة الصلاح والأصلح، أو إطاعة الله لعبده، أو غير ذلك، حتى أنَّ أستاذه لم يستطع ردّه، مما دعاه لأنْ يجزم أنَّ ما جاء به أستاذه لم يكنْ على حق، بل كان مذهبه على باطل، ولما وجده لم يرجع إلى الصواب تركه، وفارقه.

ثالثاً: أثر الاختلاف العقائدي على التحصيل العلمي:

لما وجدَ الإمام الأشعري شيخه وأستاذه ليس على العقيدة الصحيحة هجره، وتركه، وهذا الأمر لم يؤثر في حقيقة الحال على تحصيله العلم منه بل كان ذلك بعد أنْ تمكن الإمام الأشعري من العلم، وأصبح عالماً يزن الأمور بميزانها الشرعي الصحيح.

وبهذا نُشير إلى أنَّ أصحاب العقيدة الصحيحة لا يمكنهم الأخذ عن غيرهم من أصحاب العقيدة الباطلة؛ وذلك لما تقرر عندهم من صدق ما جاء به النبي ﷺ، وجاء به أصحابه، وغيرهم من حملة هذا الشرع الحنيف، مع مراعاة الأخذ بالصحيح من الأقوال؛ لأنَّها ضالته، وهو أحق بها.

رابعاً: فائدة الأخذ عن الغير:

ونعني بذلك لو أنَّ شخصاً أخذ عمن هو مختلف معه عقائدياً هل تعود له بفائدة؟

نعم، فنجد أنَّ الإمام الأشعري لم يترك علمه الذي أخذه من شيخه أبي علي الجبائي، بل اســـتخدمه في نصـــرة مذهبه، وبيان الحق عن طريق فهم المخالف وطريقة تفكيره، مما جعله صاحب حجة قوية، ورد مفحم، أفحم به المعتزلة ومن على شاكلتهم.

من خلال ما قدمناه نجدُ الأثر الواضـح على التحصـيل العلمي في حالة وجود الاختلاف العقائدي، فيظهر لنا أثر الاتفاق العقائدي لتحصيل العلوم، وأخذها، وهذا الأمر لا يدعو للتطرف، بل يدعو إلى الهوية، وفهم المقابل، فالإمام الأشـعري كان ردّه بالحكمة والموعظة الحسـنة، فأخذ بكلامه الكثير، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

في ختام هذا البحث نخرج بأهم النتائج التي توصلنا إليها، وهي كما يأتي:

- للاختلاف العقائدي أثر كبير في التحصيل العلمي، والإمام الأشعري والجبائي أقرب مثال على ذلك.
- الجبائي انتهت إليه رئاسة المعتزلة في زمانه، والإمام الأشعري أحد طلابه، ومع ذلك ترك شيخه عندما ظهر له الحق.
- للاتفاق العقائدي أثر كبير في استمرارية التحصيل العلمي، ويشهد له ما كان عليه الإمام الأشعري لأكثر من أربعين سنة مع شيخه الجبائي.
- لم يكن الاختلاف العقائدي يبعد عن المختلفين الدليل العلمي الرصين، والأخذ به.
- الاختلاف العقائدي يؤثر على استمرارية التحصيل الدراسي، وهو كما حدث بعد ترك الإمام الأشعري للجبائي.
- الاختلاف العقائدي لا يعني ترك علم المخالف، بل معناه تعلم دليلهم والتقوي به للرد عليهم.

هذه أبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، د.ت. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. د.ط. دار الكتب العلمية. بيروت.

ابن الساعي، علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبي طالب، تاج الدين (ت٦٧٤هـ). ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م. الدر الثمين في أسماء المصنفين، تحقيق: أحمد شوقي بنبين - محمد سعيد حنشي. ط١. دار الغرب الاسلامي. تونس.

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت١٠٨٩هـ). ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. تحقيق: محمود الأرناؤوط. ط١. دار ابن كثير. دمشق - بيروت.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ). د.ت. لسان الميزان. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. د.ط. دار البشائر الإسلامية.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ). ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس. د.ط. دار الثقافة. بيروت.

ابن عساكر، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ). ١٤٠٤هـ. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري. ط٣. دار الكتاب العربي. بيروت.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ). ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م. طبقات الشافعيين. تحقيق: د. أحمد عمر هاشم، د. محمد زينهم محمد عزب. د.ط. مكتبة الثقافة الدينية.

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور. ١٩٧٧م. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية. ط٢. دار الآفاق الجديدة. بيروت.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت٤٦٣هـ). ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م. تاريخ بغداد. تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف. ط١. دار الغرب الإسلامي. بيروت.

الخيون، د. رشيد الخيّون. ١٩٩٧م. معتزلة البصرة وبغداد. ط١. دار الحكمة، لندن.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت٧٤٨هـ). ٢٠٠٣م. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام. تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف. ط١. دار الغرب الإسلامي.

الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت٧٤٨هـ). ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م. سير أعلام النبلاء. تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. ط٣. مؤسسة الرسالة.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت٧٧١هـ). ١٤١٣هـ. طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو. ط٢. هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت٥٨٤هـ). ١٤٠٤هـ. الملل والنحل. تحقيق: محمد سيد كيلاني. د.ط، دار المعرفة. بيروت.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ). ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م. الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. د.ط. دار إحياء التراث. بيروت.

الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (ت٧١٦ هـ). ١٤٢٦هـ. درء القول القبيح بالتحسين والتقبيح. تحقيق: أيمن محمود شحادة. ط١. الدار العربية للموسوعات. بيروت.

المرتضى، أحمد بن يحيى بن المرتضى المهدي لدين الله (ت٨٤٠هـ). ١٣٨٠هـ-١٩٦١م. طبقات المعتزلة. تحقيق: سُوسَنّة دِيفَلْد - فِلْزَر. د.ط. دار مكتبة الحياة. بيروت.

References

Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman bin Ali bin Muhammad al-Jawzi (d. 597 AH), al-Muntazim in the History of Nations and Kings, edited by: Muhammad Abd al-Qadir Atta, Mustafa Abd al-Qadir Atta, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, d.d., d. T

Ibn al-Sa'i, Ali bin Anjab bin Othman bin Abdullah Abi Talib, Taj al-Din Ibn al-Sa'i (d. 674 AH), The Precious Pearl in the Names of Compilers, edited by: Ahmed Shawqi Benbin - Muhammad Saeed Hanshi, Dar al-Gharb al-Islami, Tunisia, 1st edition, 1430 AH - 2009 AD.

Ibn al-Imad, Abd al-Hayy ibn Ahmad ibn Muhammad Ibn al-Imad al-Akri al-Hanbali, Abu al-Falah (d. 1089 AH), Gold Nuggets in News of Gold, edited by: Mahmoud al-Arnaout, Dar Ibn Katheer, Damascus - Beirut, 1st edition, 1406 AH - 1986 AD.

Ibn Hajar, Abu al-Fadl Ahmad ibn Ali ibn Muhammad ibn Ahmad ibn Hajar al-Asqalani (d. 852 AH), Lisan al-Mizan, edited by: Abd al-Fattah Abu Ghada, Dar al-Bashaer al-Islamiyya, d.d., d.d.

Ibn Khallikan, Abu Abbas Shams al-Din Ahmad bin Muhammad bin Abi Bakr (d. 681 AH), Deaths of Notables and News of the Sons of the Age, edited by: Ihsan Abbas, Beirut, House of Culture, 1388 AH/1968 AD.

Ibn Asakir, Thiqa al-Din, Abu al-Qasim Ali bin al-Hasan bin Hibatullah, known as Ibn Asakir (d. 571 AH), Explaining the Lie of the Slanderer in What Was Ascribed to Imam Abu al-Hasan al-Ash'ari, Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, 3rd edition, 1404 AH.

Ibn Kathir, Abu Al-Fida Ismail bin Omar bin Kathir Al-Qurashi Al-Basri and then Al-Dimashqi (d. 774 AH), Classes of the Shafi'is, edited by: Dr. Ahmed Omar Hashem, Dr. Muhammad Zainhum Muhammad Azab, Library of Religious Culture, D., 1413 AH - 1993 AD.

Al-Baghdadi, Abd al-Qahir bin Tahir bin Muhammad al-Baghdadi Abu Mansour, The Difference Between the Sects and the Statement of the Surviving Sect, New Horizons House, Beirut, 2nd edition, 1977 AD.

Al-Khatib Al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmed bin Ali bin Thabit bin Ahmed bin Mahdi Al-Khatib Al-Baghdadi (d. 463 AH), History of Baghdad, edited by: Dr. Bashar Awad Ma'rouf, Dar Al-Gharb Al-Islami - Beirut, 1st edition, 1422 AH - 2002 AD.

Al-Khayoun, Dr. Rashid Al-Khayyoun, Mu'tazila of Basra and Baghdad, Dar Al-

Hekma, London, 1st edition, 1997 AD.

Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz al-Dhahabi (d. 748 AH), The History of Islam and the Deaths of Celebrities and Notables, edited by: Dr. Bashar Awad Marouf, Dar Al-Gharb Al-Islami, 1st edition, 2003 AD.

Al-Dhahabi, Shams al-Din Abi Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz al-Dhahabi (d. 748 AH), Biography of Noble Figures, edited by: a group of investigators under the supervision of Sheikh Shuaib Al-Arnaout, 3rd edition, Al-Resala Foundation, 1405 AH / 1985 AD.

Al-Subki, Taj al-Din Abdul-Wahhab bin Taqi al-Din al-Subki (d. 771 AH), The Great Shafi'i Classes, edited by: Dr. Mahmoud Mohammed Al-Tanahi Dr. Abdel Fattah Muhammad Al-Helu, Hajar Printing, Publishing and Distribution, 2nd edition, 1413 AH.

Al-Shahristani, Muhammad bin Abdul Karim bin Abi Bakr Ahmad Al-Shahristani (d. 584 AH), Mills and Bees, edited by: Muhammad Sayyid Kilani, without edition, 1404 AH, Dar Al-Ma'rifa, Beirut.

Al-Safadi, Salah al-Din Khalil bin Aibak bin Abdullah al-Safadi (d. 764 AH), Al-Wafi bi al-Wafiyat, edited by: Ahmed Al-Arnaout and Turki Mustafa, Heritage Revival House - Beirut, 1420 AH - 2000 AD.

Al-Tawfi, Suleiman bin Abdul-Qawi bin Al-Karim Al-Tawfi Al-Sarsari, Abu Al-Rabi', Najm Al-Din (d. 716 AH), Warding off ugly speech by improving and ugliness, edited by: Ayman Mahmoud Shehadeh, Arab House of Encyclopedias, Beirut, 1st edition, 1426 AH.

Al-Murtada, Ahmad bin Yahya bin Al-Murtada Al-Mahdi Li Din Allah (d. 840 AH), Layers of the Mu'tazila, edited by: Sawsanah Diefeld - Felzer, Al-Hayat Library Publishing House - Beirut, 1380 AH - 1961 AD.